

مجمع الأمثال

2042 - أشأمٌ من غُرَابِ الدُّبِيِّ .

إنما لزمه هذا الاسم لأن الغراب إذا بان أهل الدار للذُّجعة وقَعَ في موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم فتشاءموا به وتطيروا منه إذ كان لا يعترى منازلهم إلا إذا بانوا فسموه غراب البين ثم كرهوا إطلاق ذلك الاسم مخافة الزجر والطيرة وعلموا أنه نافذ البصر صافي العين حتى قالوا : أصفى من عين الغراب كما قالوا : أصفى من عين الديك وسموه " الأعرور " كنايةً كما كنوا طيرةً عن الأعمى فكنوه " أبا بصير " وكما سموا الملدوغ والمنهوس " السليم " وكما قالوا للمهالك من الفيافي " المفاوز " وهذا كثير ومن أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغُرْبَة والاعتراب والغريب وليس في الأرض بآوِج ولا نَطِيح ولا قَعِيد ولا أَعْصَب ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغُرَابُ عندهم أنكدُ منه ويرون أن صياحه أكثر أخباراً وأن الزجر فيه أعمُّ قال عنتره : .

خَرِقَ الدُّجَنَاحَ كَأَنَّ لِحَيْبِي رَأْسَهُ ... جَلَمَانِ بِالْأَخْيَارِ هَشُّ مَوْلَعُ .
وقال غيره : .

وصاحَ غُرَابٌ فَوَقَّ أَعْوَادِ بَانَةِ ... بِالْأَخْيَارِ أَدْيَابِي فَسَّ مَنِّي
الفِكَرُ [ص 384] .

فَقُلَّتْ غُرَابٌ بَاغْتِرَابٍ وَبَانَةٌ ... تَبِينُ الذَّوَى تِلْكَ الْعِيَاةُ
وَالزَّجْرُ .

وَهَابِيَّتٌ جَنُوبٌ بَاغْتِرَابِيٍّ مِنْهُمْ ... وَهَاجَتِ صَبَاءٌ قُلَّتْ : الصَّيَابَةُ
وَالهَجْرُ .

وقال آخر : .

تَغَنَّى الطَّائِرَانِ بِيَدِيْنَ سَلَامِي ... عَلَايَ غُصْنِيْنَ مِنْ غَرَبِي وَبَانِ .
فَكَانَ الدُّبَانُ أَنْ بَانَتْ سُلَيْمِي ... وَفِي الْغَرَبِ اغْتِرَابٌ غَيْرُ دَانِ .

وقال آخر : .

أَقُولُ يَوْمَ تَلَاقَيْنَا وَقَدِ سَجَعَتِ ... حَمَامَتَانِ عَلَايَ غُصْنِيْنَ مِنْ
بَانِ .

الآن أعلم أن الغُصْنَ لِي غَصَصٌ ... وَأَنَا الدُّبَانُ بِيْنُ عَاجِلِ دَانِ .
فَقُمْتُ تَخْفِضُنِي أَرْضٌ وَتَرَفَعُنِي ... حَتَّى وَنَيْتَ وَهَدَّ السَّيْرُ
أرْكَانِي .

فهذا زَمَطُ شعرهم في الغُرَاب لا يتغير بل قد يزجرون من الطير غير الغُرَاب على طريقين : أحدهما على طريق الغراب في التشاؤم والآخر على طريق التفاؤل به . قال الشاعر :

وقالوا : تَغَنَّى هُدْهُدٌ فوق بَانَةِ ... فقلَّتْ : هُدَّى يَغْدُو به وَيَرُوحُ .
وقال آخر :

وقالوا : عُقَابٌ قُلَّتْ : عُقْبَى مِنَ الذَّوَى .
دَنَتْ بِعَدَدِ هَجْرٍ منهم ونزوح .
وقال آخر :

وقالوا : حَمَامٌ قُلَّتْ : حُمٌّ لِقَاؤُهَا ... وَعَادَ لَنَا رِيحُ الوِصَالِ
يَفُوحُ .

فهذا إلى الشاعر لأنه إن شاء جعل العُقَابَ عُقْبَى خير وإن شاء جعلها عُقْبَى شر وإن شاء جعل الحَمَامَ حَمَامًا وإن شاء قال : حُمٌّ اللقاء والهدهد هُدَّى وهداية والْحُبَيْرَى حُبَيْرًا وحبيرة والبان بَيَانًا يلوح والدَّوْمُ دَوَامُ العهد كما صارت الصَّيَا عنده صباية والجنوب اجتنابا والصُّرْدُ تَصْرِيدًا إلا أن أحداً منهم لم يزجر في الغراب شيئاً من الخير هذا قول أهل اللغة .
وذكر بعض أهل المعاني أن زَعَبَ الغُرَابِ يُتَطِيرُ منه ونَغْيِقُهُ يتفائل به وأنشد قول جرير :

إن الغُرَابَ بِمَا كَرِهَتْ لَمَوْلَعٌ ... بِذَوَى الأَحْبِسَةِ دَائِمٌ التَّشْحَاجُ .
لَيْتَ الغُرَابَ غَدَاةً يَنْدَعَبُ دَائِبًا ... كَانَ الغُرَابُ مُقَطَّعِ الأودَاجِ .
وقول ابن أبي ربيعة :

زَعَبَ الغُرَابِ بِبَيْتِ ذَاتِ الدُّمْلُجِ ... لَيْتَ الغُرَابِ بِبَيْتِهَا لَمَّ
يَشْحَجُ [ص 385] .

ثم أنشدوا في النغيق :
تَرَكَتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلايِهِمْ ... وَلِلْغُرَابِ بَانَ مِنْ شَبَعِ نَغْيِقُ .
قال : ويقال " نَغَقَ الغرابُ نَغْيِقًا " إذا قال : غيق غيق فيقال عندها " نغق بخير " ويقال " نَعَبَ نَعْبًا " إذا قال : غاق [غاق] فقال عندها " نَعَبَ بشر " قال : ومنهم من يقول " نغق ببين " وزهير منهم وأنشد له :
ألقى فِرَاقَهُمْ فِي المُقَلَّاتِيْنِ قَذَى ... أَمْسَى بِذَلِكَ غُرَابُ البَيْتِ
قَدَّ نَغَقَا .

وقال من احتج للغراب : العربُ قد تتيمن بالغراب فتقول : هم في خير لا يطيرُ غُرَابُهُ أَي

يقع الغراب فلا يُذَفَّرُ لكثرة ما عندهم فلولا تَيَمُّمٌ ذُهُمٌ به لكانوا ينفرونه فقال
الدافعون لهذا القول : الغرابُ في هذا المثل السَّوَادِ واحتجوا بقول النابغة :
ولرهُطِ حَرَّابٍ وَقَدَّ سَوْرَةٌ ... في المَجْدِ لَيْسَ غُرَابُهَا بِمُطَارٍ .
أي مَنْ عَرَضَ لَهُمْ لِمِ يَمْكُنُهُ أَنْ يَنْفِرَ سَوَادَهُمْ لِعِزِّهِمْ وَكثرتهم